كِيْكَاوس، توفي سنة خمس عشرة وست مئة، كما سيأتي ذِكره[١]، وهو الذي تسلطن بعده، وكِيْقباذ تولَّى بعد أخيه.

ثم دخلت سنة تسعٍ وست مئة

ففيها كانت نكبة سامة الجِيْلي، صاحب دار سامة، داخل باب السَّلامة التي هي الآن مدرسة للشَّافعية[٢]، وكان أحدَ الأمراءِ الكبار، وهو الذي ذُكِرَ عنه أنه سَلَّم بيروت إلى الفرنج كما تقدَّم[٣].

قال أبو المُظَفَّر: اجتمع العادل وأولاده: الكامل، والفايز، والمُعَظَّم بدِمْياط، وكان سامة بالقاهرة قد استوحش منهم، واتهموه بمكاتبة الظَّاهر صاحب حلب، وحكى لي المُعَظم أنه وَجَدَ له كُتُباً إليه وأجوبة، فخرج سامة من القاهرة كأنَّه يتصيَّد، واغتنم اجتماعَ الملوكِ بدمياط، وساق إلى الشَّام في مماليكه يطلب قلاعه، وهما كوكب، وعجلون، وذلك يوم الاثنين سَلْخ جُمادى الآخرة، فأرسل والي[٤] بِلْبيس الحَمَامَ إلى دِمياط يخبرُهُم بذلك. فقال العادل: مَنْ ساقَ خَلْفه فله أموالُه وقلاعُه. فقال المعظم: أنا. وركب من دمياط يوم الثلاثاء غُرَّة رجب، وكنتُ معه، فقال لي: أنا أريد أن أسوق، فَسُقْ أنت مع قُمَاشي. ودَفَعَ لي بَغْلَةً، وساقَ ومعه نَفَرٌ يسير، وعلى يده حصان[٥]، وكان ٨١
صباح يوم الجمعة في غَزَّة، ساق مسيرة ثمانية أيام في ثلاثة أيام، فسبق سامة.

(١) ص ٢٩٨ من هذا الجزء.

(٢) انظر ص ١٦٧ من هذا الجزء.

(٣) ص ٧٢ من هذا الجزء.

(٤) في (س): صاحب.

(٥) تعبير مستعمل في تلك الفترة، يعني: تحت تصرفه حصان، إذ كان في العادة أن يصطحبوا معهم حصاناً آخر إذا أرادوا قطع مسافة طويلة غير الذي يركبونه، ويسمى الجنيب، وهذا التركيب سلف ص ١٩٣ من هذا الجزء.

وأما سامة فإنه تقطَّع عنه مماليكه ومَنْ كان معه، وبقي وحده، وبه نِقْرِس، فجاء إلى بلد الدَّاروم؛ وكان المُعَظَّم قد أمسك عليه من البحر إلى الزَّرْقاء، فرآه بعضُ الصيَّادين في برية الدَّاروم، فعرفه، فقال له: انزل. فقال: هذه ألف دينار وأوصلني إلى الشَّام. فأخذها الصَّيَّاد، وجاء رفاقه فعرفوه أيضاً، فأخذوه على طريق الخليل عليه السَّلام ليحملوه إلى عجلون، فدخلوا به القُدْس يوم الأحد سادس رجب، جاء بعد المعظم بثلاثة أيام. فقال لي المُعَظَّم رحمه الله: ما كنتُ خائفاً إلا أن يُصادفني في الطريق غِلْمانهُ، فيقتلوني، لو رماني إيدكين بسهم قتلني. فملَّكه اللهُ إيدكين والجميعَ.

فأنزل سامة في صِهْيَوْن، وبَعَثَ إليه بثيابٍ وطعام، ولاطفه وراسله، وقال: أنت شيخٌ كبير، وبك نِقْرِس، وما يَصْلُح لك قلعة، سَلِّمْ إليَّ كوكب وعجلون، وأنا أحلف لك على مالك وملكك وجميع أسبابك، وتعيش بيننا مثل الوالد. فامتنع، وشَتَمَ المُعَظَّم، فلما يَئِسَ المعظم منه بَعَثَ به إلى الكَرَك، فاعتقله، واستولى على قلاعه وأمواله وذخائره وخيله، فكان قيمة ما أخذ منه ألف ألف دينار[1].

وحجَّ بالنَّاس من العراق حسام الدِّين ابن أبي فراس نيابةً عن محمد بن ياقوت، وكان معه مال وخِلَعٌ لقتادة حتى سكت عنهم. ومن الشَّام شجاع الدين ابن محارب على أيلة.

وفيها استولى البال القبرسي[2] ـ لعنه الله ـ على أنطاكية، فَرُمِيَتْ تلك الأعمال منه بداهية، وتابع الغارات على تركمانها، فشرَّدهم، فتجمعوا، وأخذوا عليه المضايق، وحصل في وادٍ، فقتلوه وجميعَ رجاله، وطافوا برأسه في أعمالهم، ثم حملوه في البحر إلى الملك العادل بمصر. وهذا الملعون هو الذي كان هَجَم على فوة وبورة كما تقدَّم[3].

---

(١) «مرآة الزمان» حوادث سنة (٦٠٩ هـ).

(٢) انظر حاشيتا رقم ١ ص ٢٢٧ من هذا الجزء.

(٣) انظر ص ١٦٢ و٢٢٧ من هذا الجزء.

وفيها كان عَزْلُ الوزير صفيِّ الدين بن شُكْر عن وِزَارة العادل، والقَبْضُ على أملاكه، ثم نفي إلى الشَّرْق.

وفيها تظاهرتِ الإسماعيلية بألموت وكردكوه وما والاهما من بلاد العجم بالإسلام، وإقامة شعائره، والرجوع عما كانوا عليه من الفساد، وأرسل زعيمهم جلال الدين حسن إلى الخليفة النَّاصر يبذل الطاعة، ويستدعي قُضَاةً وفقهاء يفقهونهم، ويقضون بينهم، فأُجيب. وبعثَ إلى الحصون الشَّامية مصياث، والخوابي، والعليقة، وما ينضاف إليها مما ينسب إلى الإسماعيلية مَنْ أَظْهَرَ فيها شعائرَ الإسلام، وتجديد المساجد، وإقامة الحدود على منِ ارتكب مُحَرّماً.

وفيها خُرِّبت حِصْن كوكب، ونقل ذخائرها إلى الطُّور.

وفيها توفي مادح الرحمن[1]، وفخر الدين بن إسرائيل، وعِزّ الدين عبدان الفلكي[2]، صاحب الدار والحَمَّام المنسوبين بعده إلى ابنِ موسك مقابلة دار الحديث النُّورية.

وفيها في ثامن ربيع الأول توفي الملك الأوحد، صاحب خِلاط. واسمه أيوب بن أبي بكر بن أيوب، ولقبه نجم الدين[3].

---

(١) في هامش الأصل: اسمه نصر الله بن أبي بكر.

قلت: له ترجمة في التكملة للمنذري: ٢/ ٢٤٩، وقال: يقال إنه كان قد قصر شعره على ذكر الله سبحانه وتعالى، والثناء عليه، ولم يمدح أحداً من المخلوقين.

(٢) له ترجمة في تاريخ الإسلام (ت ٤٥٦، وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، الوافي بالوفيات: ١٩/ ٣٣٩، الدارس: ١/ ١٠٠.

وقد تحرف اسمه في (س) إلى عبيدان.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، مفرج الكروب: ٣/ ٢٠٨، كنز الدرر: ٧/ ١٦٩، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٤، تاريخ الإسلام (ت ٤٣٩، وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٦ـ٣٨، السلوك: ج١/ق١/ ٢٠٥، شفاء القلوب: ٢٧٣ـ٢٧٥، ترويح القلوب: ٥٠.

وقد ذكر ابن واصل في «مفرج الكروب» وفاته سنة (٦٠٧ هـ)، وتابعه أبو الفداء في =

وكان قد سَفَكَ دماءَ المقدَّمين من أهل خِلاط، فلم يَطُلْ عُمْرُه. ملك خلاط أقلَّ من خمس سنين، وابْتُلي بأمراضٍ مُزْمنة كان يتمنَّى الموت معها، وكان قد استزار أخاه الأشرف من حَرَّان، فأقام عنده أياماً، واشتدَّ مرضه، فطلب الأشرف الرجوع إلى حَرَّان لئلا يتخيَّل منه الأوحد، فقال له الأوحد: يا أخي، كم تَلِجَّ، والله إني مَيِّت، وأنتَ تأخذ البلاد.

٨٢ وكان الأوحد قد صاغ للأشرف طلعة ذهب من خمس مئة دينار للسَّنْجَق، وبقيت في الخزانة، واشتغلوا بمرض الأوحد، فتوفي، ومَلَكَ البلادَ الأشرفُ، وأول ركوبه في خِلاط بالسَّنْجَق كان بتلك الطلعة، وكانت وفاة الأوحد بملازكرد، فَدُفِنَ بها، وجاء الأشرف، فدخل خِلاط، فأحسنَ إلى أهلها، وخَلَعَ عليهم، وعَدَلَ فيهم، فأحبُّوه وأطاعوه.

وفيها توفي أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن أبي بكر القَفْصي[1]، المحدِّث المقرئ، سمع الكثير بدمشق وغيرِها، وكتَبَ كُتُباً كثيرة، وكانت وفاتُهُ في ربيع الأول، ودُفِنَ عند المُنَيْبع بمقابر الصُّوفية.

وفيها توفي بمرو أبو الفتح محمد بن سَعْد بن محمد الدِّيباجي[2]، من أهل مرو.

ولد في المحرَّم سنةَ سبع عشرة وخمس مئة، وسمع الحديث، وقَدِمَ بغداد حاجًّا سنة ست مئة، ومعه كتابٌ سَمَّاه «المحصَّل في شرح المُفَصَّل» للزَّمَخْشري

= «المختصر»، والمقريزي في «السلوك». والصواب وفاته سنة (٦٠٩ هـ) كما ذكره أبو شامة متابعاً سبط ابن الجوزي.

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٤٧، تاريخ الإسلام (ت ٤٣٣، وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، توضيح المشتبه: ٧/ ٢٤١.

(٢) له ترجمة في إنباه الرواة: ٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٤١، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٥١، الوافي بالوفيات: ٣/ ٨٩ ـ ٩٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، بغية الوعاة: ١/ ١١١ ـ ١١٢.

في النحو، وعاد إلى مَرْو، وسمع أبا سَعْد بن السَّمْعاني وغيره، وكان فاضلاً ثِقَةً.

وفيها توفي الشيخ أبو الثناء، محمود بن عثمان بن مكارم، النَّعَّال الحنبلي الزَّاهد[1].

ولد في سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة ببغداد بالبدرية، وقرأ القرآن. وسَمِعَ الحديث، وكان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وكان له رياضاتٌ ومجاهداتٌ، وساحَ في بلاد الشام وغيرها، وبنى رباطاً بباب الأَزَج، يأوي إليه أهلُ العِلْم من المقادسة وغيرِهم، وكان يؤثرهم، وانتفع به خَلْقٌ كثير، وكان شيخاً مهيباً، لطيفاً كيِّساً، باشّاً متبسماً، يصوم الدَّهْر، ويختم القرآن كلَّ يومٍ وليلة، ولا يأكل إلا من غَزْلِ عَمَّته.

وحُكي أنه كان ببغداد رجل عواني[2] يقال له شروين، وكان فاتكاً ذا شَرّ؛ إذا رأى امرأةً أو صبياً مستحسناً في طريقٍ تبعه، وإذا صادفَ رجلاً من أولاد النَّاس لَزِمَه، وقال: كانت هذه أو هذا عندك. ومقصوده يأخذ منه شيئاً، ويقول له: امشِ إلى الحَبْس. فيأخذ ما معه. قال: فسألني جماعةٌ من الأخيار أن نمضي إلى زيارة معروف[3] الكَرْخي، واشتروا مأكولاً، وعَبَرْنا دِجْلة وقد تَبِعَنا شروين، ولم نعلم، فدخلنا بستاناً، وقعدنا نأكل، وإذا به قد هَجَمَ علينا، وقعد بيننا، فخافَ الجماعةُ منه، ومَدَّ يده فأخذ لُقْمة، فصُحْتُ عليه صيحةً عظيمةً؛ وقلتُ

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٦٣ ـ ٦٤، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٠٧، المقصد الأرشد: ٢/ ٥٤٨، المنهج الأحمد: ٤/ ٩٣ ـ ٩٤، شذرات الذهب: ٥/ ٣٨ ـ ٣٩. ويكنى كذلك بأبي الشكر.

(٢) رجل عواني يعني يسعى بالشر بين الناس، وهي كلمة عامية ما تزال دارجة، وسياق الخبر يفسر معناها.

(٣) في (س) قبر معروف.

له: ويلك، قُمْ فنحن ما يأكل معنا إلا مَنْ هو وليٌّ لله تعالى. قال: فتغيَّر لونه، ورمى باللُّقْمة من يده، وولَّى منصرفاً، وما عاد إلى مِثْلها. وكانت وفاةُ محمود في صَفَر، ودُفِنَ برباطه، رحمه الله.

ثم دخلت سنة عشر وست مئة

ففيها أَمَرَ العادِلُ بإحداث تركيب سلاسل على أفواه السِّكَك المجاورة للجامع[1]، ومدِّها في أيام الجُمَع، ليمنع الخيل من قرب أبواب الجامع؛ وذلك لما كان ينالُ النَّاسَ من المشقَّة من زَحْمةِ الخيل التي يركبها بعضُ المصلِّين إلى الجامع، فحصَلَ للنَّاسِ بذلك رِفْقٌ عظيمٌ، ثم تُرِكَ ذلك بعد زمان، وعادَ الأمرُ إلى ما كان إلى الآن[2].

وعمل بعضُ المتفرِّغين في ذلك نظماً كان يُغنى به في الأسواق، أوله:

إنَّ ذا عـــامٌ جـــديـــدْ إنَّ ذا يـــومٌ ســـعـــيـــدْ
والـــمـــديـــنـــةُ هـــارِبَـــةْ قَـــيَّـــدُوهـــا[3] بـــالـــحـــديـــدْ
كـــلُّ جُـــمْـــعـــةْ يَـــسْـــجُـــنـــوهـــا كـــأَنَّـــهُـــمْ مـــا يـــعـــرِفُـــوهـــا
والـــنـــبـــيّ لـــو أطـــلـــقـــوهـــا مـــا بَـــرِحْ بـــاب الـــبـــريـــدْ

٨٣ **وفيها** وَصَلَ الفيل من الدِّيار المِصْرية ليُحْمَلَ هديةً إلى الكُرْج، وازدحم النَّاسُ للتفرُّج عليه؛ وذلك في ثاني صفر.

وفيها ولد الملك العزيز محمد بن الظَّاهر غازي بن صلاح الدِّين يوسف بن أيوب.

---

(١) يعني جامع دمشق.

(٢) يعني سنة (٦٥٩ هـ)، وهو تاريخ كتابة هذا القسم من الكتاب، انظر مقدمتي ص ١١ ـ ١٢ .

(٣) في (ب) قد قيدوها، بزيادة: قد، وهي مما انفردت به.